حياة شارع

الجادرجي يسرد ذكرياته لـ(المدى) عن شارع طه:

الأربعاء محاضرات لعلي الوردي يفتتحها شعراً

تقييم للتحف النادرة في مزاد البغدادي

السجل الأسود شاهد على التشريعات السيئة في العراق

شارع يحلم بالاسفلت

الشوارع زينة المدن بل أستطيع أن أصفها بالقلادات التي تزين جيد أية مدينة من مدن العالم، فعلى أرصفتها تتوسد ذكريات بيوت وأنفاس شخوص قضت طفولتها وصباها هناك، وحلقتنا اليوم هي الثالثة والأخيرة عن شارع طه، وقد ضمت الحلقتان السابقتان العديد من الذكريات التي حكاها لنا مضيّفنا نصير الجادرجي، وكذلك ما رفدنا به شقيقه الأكبر رفعة الجادرجي من كتابه (صورة أب) الذي تحدث به عن والده المرحوم كامل الجادرجي وكذلك وصف تفصيلي لدارهم الواقعة في شارع طه.

الحلقة الثالثة

□ بغداد / يوسف المحمداوي
□ تصوير / ادهم يوسف

إجهاض بورتسموث

كنا قد توقفنا في الحلقة السابقة عن ذكر أهم نشاطات صاحب الدار السياسية والإعلامية في أربعينيات القرن الماضي،وأولها تأسيس جمعية الصحفيين التي تولى رئاستها حتى عام ١٩٥٠، ولم يغادر الجادرجي مرتكزات العمل في نهج الديمقراطية مهاجما الفساد والاضطهاد في العهد المذكور وقدم للمحاكمة عام ١٩٤٧، أثناء معاهدة بورتسموث، ودوره لا ينسى هو وأعضاء الحزب الوطني الديمقراطي في وثبة ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٨ التي أجهضت المعاهدة رغم التوقيع عليها، في حزيران عام ١٩٤٩، قدمه نوري سعيد للمحاكمة وحكم عليه بالسجن وغلق جريدته صوت الأهالي. في العام ١٩٥١، دخل الحزب مع ميثاق مشترك مع حزب باسم حزب الجبهة الشعبية وكان من أقطابها طه الهاشمي ومحمد رضا الشبيبي والجادرجي واستمر العمل حتى العام ١٩٥٢، في انتفاضة ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٥٢ التي شهدت تظاهرات عارمة في بغداد طالبته بسقوط العهد الملكي، ولأول مرة يرفع المتظاهرون صور كامل الجادرجي وإعلان حكومة وطنية برئاسته، لتعلن الأحكام العرفية ونزول الجيش إلى الشوارع ليتعقل الجادرجي مع عدد من أعضاء الحزب في معتقل أبي غريب العسكري.

الدخول إلى البرلمان

عام ١٩٥٣، ألغيت الأحكام العرفية وكذلك إلغاء قرار غلق الحزب ليجد نفسه الجادرجي داخل المجلس النيابي، وبعد العدوان الثلاثي على مصر حكم على الجادرجي بالسجن لمدة ثلاث سنوات، أصيب بنوبة قلبية حادة في أواخر عام ١٩٥٨، ومع ملازمة المرض له لم يتخل عن السياسة والإعلام حتى وافته المنية في يوم الخميس الأول من شباط عام ١٩٦٨، وله أربعة أولاد وبنت؛ هم رفعة وباسل ونصير ويقضان وأمينة.

بدري قدح في بيت الجادرجي

وأنت تتفرج في دار الجادرجي كامل تشعر مرغما بترف وثراء الماضي فكريا وفنيا، فالبيت الذي اكتمل فيه البناء عام ١٩٣٦ نموذج لعمارة حديثة، فالوالد كما يقول رفعة الجادرجي في كتابه صورة أب هو الذي وضع تصميم الحديقة، وقد خصص الجزء الأيمن المجاور لمنضدة الكتابة في غرفة الاستقبال الكبيرة لأغراض الرسم، واستقر رأي الوالد على تصميم الحديقة على شكل نجمة، وزرعت أضلاع النجمة بالزهور الموسمية والنباتات الصغيرة الدائمة الخضرة، وكانت الأضلاع من طابوق مقصوص يدق باستقامة في التربة، أما القسم الباقي فقد زرع بالثيل بانتظار البناء، بعد ذلك كما يقول رفعة "اختار أبي المهندس بدري قدح لتصميم بناء الدار؛ وبدري قدح مهندس سوري الجنسية، وقد استقدمته في حينها مديرية الأشغال العامة للعمل لديها كمهندس معماري وقد قام بوضع تصاميم لعدة مدارس منها، كلية فيصل في الأعظمية كما صمم بعض الدور في بغداد".

وقد صورت الدار من الجو وقام بذلك الطيار جواد حسين وهو احد أصدقاء كامل، والصورة نشرت في كتابي رفعة الجادرجي (شارع طه) و (صورة أب).

لا وجود للطائفية

يقول نصير: انه مع تشييد الدار كانت الكهرباء دفن، وكذلك أنابيب الماء وشبكة توزيع داخل البيت للماء البارد والحار حيث يوزع لجميع أقسام البيت، أما الآن فالمشهد لا يوحي إلا بذلك الازدهار العمراني سواء في الشارع أم داخل البيت، لان الكهرباء في الشارع شبه معدومة، فضلا عن الانقطاع المستمر للماء الصالح للشرب، ويضيف: أن اغلب البيوت اضطرت إلى حفر أبار في داخلها لسقي الحدائق أو استخدامه في أغراض أخرى، والحديقة لم تعد كسابق عهدها، فأرضية الثيل تكاد تكون معدومة وذلك لهجرة الفلاحين لتلك الحدائق من أيام الطائفية، ويذكر نصير أن الطائفية لم تدخل للشارع واستطاع أهل المنطقة المتآلفون السيطرة والتهدئة، ويذكر أن ريجينة مراد شقيقة سليمة مراد قد سكنت الشارع وكان يزورها دائما الملحن صالح الكويتي، كما سكنت أم كلثوم عند مجيئها إلى بغداد ذلك الشارع، ومما يذكر أن طه الهاشمي هو الذي أمر بمغادرة ريجينة مراد للشارع لكون اغلب سكنة الشارع من العوائل المحافظة.

السياسي الفلاح

نصير وهو يتناول التمر المحشو والملفوف بورق يذكرنا بـ(الماكنتوش وتوفي منير) وهما نوعان من الحلوى الراقية، وقد شاركناه التناول وهو يقول كنا نذرع الشارع ونحن أطفال وغالبا ما نكون حفاة لا نرتدي أحذية ونمارس ألعابنا في الشارع كاللعب بالدعابل والجعب وأحيانا نهرول وراء الربل، وعندما أصبحنا شبابا كنا نجلس في رأس الشارع ونتحاور في الأمور السياسية والأحداث في تلك الفترة، ونقوم أحيانا بسفرات على الدراجات الهوائية، وكان يقطن في بيتنا أيضا الممثل ناجي الراوي رئيس فرقة الزبانية المسرحية التي فيها فخري الزبيدي وحامد الاطرقجي، لذا نقوم بعقد ندوات موسيقية ومسرحيات في ذلك الشارع.

وهو يستذكر حكاياه مع الحديقة يقول نصير لم أمارس التجارة وميلي الأكبر هو للزراعة، وما شجعني على ذلك هو بساتيننا في الحلة والصويرة، وكذلك بستاننا في الفحامة، فضلا عن حديقة الوالد، فأنا أمارس عملي كفلاح ماهر، فانا أسوق الجرار الزراعي واستخدم المسحاة لكرب الأرض وزراعة البذور والفواكه، وكذلك أستطيع تشغيل ماطورات المياه الزراعية لغرض سقي الأرض، يقول ذلك بنبرة شعرت من خلالها بزهوه وافتخاره بهذا العمل رغم نشاطه السياسي.

حكايته مع الفتاة

ومن سكنة الشارع الذين استذكرهم نصير، قحطان عوني لاعب كرة السلة المقيم حاليا في أميركا، وكذلك الإعلامية لمعان البكري مدير مدرسة الباليه في وزارة الثقافة والناقد السينمائي والفني وليد صفوة أبن إسماعيل صفوت.. وحادثة لم تفارق ذاكرة الجادرجي حين كان عمره ٧ سنوات، وكان حينها يحمل بيده ثلاث قطع من الكيك ومرت بالشارع فتاة تحمل الحطب على ظهرها فقام نصير بتقديم قطعة لها، فأخذتها منه وسارت في طريقها لكنها بعد لحظات عادت وهجمت على نصير وأخذت قطعة أخرى، فما كان من نصير إلا أن يلحق بها ويعطيها القطعة الثالثة، يستشهد بهذه الحادثة إيمانا منه بان في ذلك الزمن الجميل، الجميع ملتزم بالسلوك الإنساني والتعاطف ما بين الغني والفقير وانعدام الطبقية التي قد تمارس داخل البيت أو خارجه فلا وجود لها. وأنت تنظر إلى الشارع الذي كان يوما من الأيام عبارة عن رافد سياسي وثقافي وفكري وفني تشعر بخيبة وإحباط، لان الشارع كما يقول نصير يغرق إذا ما نزلت قطرات من المطر وأحيانا يفيض بماء المجاري، مما يضطر أهل الشارع إلى سحب تلك المياه بواسطة السيارات الحوضية ويدفعون المال من اجل ذلك، والكهرباء لا تقل معاناتها عن معاناة المياه، فالمحولات قديمة ومعرضة للعطب بين فترة وأخرى، وهناك قطوعات بالأسلاك القديمة التي لم تجر عليها الإدامة منذ عقود، ويبين نصير انه شخصيا يدفع من ٦٠-٧٥ ألف دينار، لعمال الكهرباء من اجل صيانتها، ومعظم البيوتات في الشارع تستخدم المولدات الكهربائية لإدامة وجود الكهرباء.

سؤال للمسؤولين

هنا نطرح سؤال يتصدر الذهن مع أي مشهد مأساوي يعيشه أي شارع من شوارع بغداد، لو كان احد المسؤولين الموجودين في السلطة يسكن شارع طه، هل كان حال الشارع كما نراه الآن؟ فهو لم يحصل على أبسط الخدمات التي كفلها الدستور للمواطن.

ذكرنا وحسب إحدى المقالات التي ذكرت انجازات رفعة الجادرجي بان جامعة الكوفة وجامع الخلفاء وبوابة الموصل هي من انجازاته في حين نفاها نصير وكذلك بالنسبة للنافورة التي في أسفل نصب الحرية، فقد كان رفعة من المعارضين لقيام تلك النافورة، وذكرنا أيضا أن الدكتورة عالية احمد سوسة التي استشهدت في تفجير بناية الأمم المتحدة هي مترجمة وبالفعل كانت كذلك لكن اختصاصها أنها دكتوراه بالآثار وموظفة معتمدة في الأمم المتحدة لذا نذكر ذلك لتصحيح المعلومة.

مجلس علي الوردي

يشير نصير إلى أن الشارع في منتصف ثمانينيات القرن الماضي شهد حراكا ثقافيا واسعا، فقي كل يوم أربعاء هناك مجلس يحاضر فيه المرحوم علي الوردي عن علم الاجتماع، وكان المجلس في اغلب الأحيان يكون في بيت المحامي أمين رؤوف الأمين، وأحيانا يعقد في بيت نصير الجادرجي، وكان الوردي يشترط على المجلس عدم التسجيل لأنه كما يقول نصير ستقوم عائلته بنشر تلك المحاضرات بعد وفاته، وكان يبدأ المجلس بقصيدة هي ما بين الشعر المقفى والنثر، وكان يسميها أرجوزة وموضوعة الأرجوزة هي ذكر ما حدث في الأربعاء الماضي، واستمر الأمر لسنوات عديدة، وكانت محاضراته كشخصيته قيمة وفذة، لذا نرجو من عائلة الوردي أن تقوم بنشر تلك المحاضرات ليستفيد منها المجتمع كما يقول نصير.

مزاد البغدادي

يذكر نصير أن في بداية الشارع كانت هناك عمارة البغدادي وفيها مزاد للتحف النادرة يقام كل يوم خميس، ويسبق هذا المزاد مجلس يقام في دار الدكتور طالب البغدادي، وهو من المهتمين بجمع الأواني النحاسية والتحف النادرة، ويقوم الدكتور طالب البغدادي بالشرح الوافي عن كل تحفة، وعلى الرغم من انه دكتوراه بالاقتصاد لكنه موسوعة في ذلك الشأن لاهتمامه الواسع بتلك التحف، وكذلك نتناول في ذلك المجلس الحديث عن أغاني ذلك الزمن والتطرق لشعراء تلك الأغاني والمناسبة التي كتبت بسببها، وهذا المجلس استمر منذ نهايات ثمانينات القرن الماضي ولعدة سنوات، يحكي نصير تلك الحكايا وهو يتألم على الوضع المأساوي الذي يعيشه شارع طه، ذلك المنجم للعقول الفكرية والسياسية والعلمية واقل ما يوصف به هو شارع الفحول.

السجل الأسود

في مكتبة الأب كامل الجادرجي كان هناك سجل اسود كبير، تدوّن فيه جميع التشريعات والقوانين والحوادث السيئة التي لها مساس بحياة المواطنين، وحين تصل إلى صفحة عام ١٩٦٣ تجد بأنه اشر على صفحة العام بعلامة (X)، إيمانا منه بان جميع ما حدث كان سيئا، خاصة بعد انقلاب شباط عام ١٩٦٣، وأنا أذكر ذلك السجل وأودع السياسي والفلاح نصير الجادرجي، قلت مع نفسي كم من سجل اسود نحتاج إليه الآن، لندون فيه الحوادث والأزمات السود التي نعيشها اليوم، بالتأكيد أن المرحوم كامل الجادرجي لو كان حيا الآن لاحتاج إلى العشرات من السجلات السوداء لذكر الكوارث التي يعيشها الوطن والمواطن، وبالتالي ستكون الـ(X) حاضرة بكثرة في سجلاته السوداء.

يشير نصير إلى أن الشارع في منتصف ثمانينيات القرن الماضي شهد حراكا ثقافيا واسعا، فقي كل يوم أربعاء هناك مجلس يحاضر فيه المرحوم علي الوردي عن علم الاجتماع

وأنت تتفرج في دار الجادرجي كامل تشعر مرغما بترف وثراء الماضي فكريا وفنيا، فالبيت الذي اكتمل فيه البناء عام ١٩٣٦ نموذج لعمارة حديثة

احد اقسام البيت

هنا نطرح سؤال يتصدر الذهن مع أي مشهد مأساوي يعيشه أي شارع من شوارع بغداد، لو كان احد المسؤولين الموجودين في السلطة يسكن شارع طه، هل كان حال الشارع كما نراه الآن؟

المحرر مع الجادرجي